مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 12 العدد: 05 السنة 2020 ص 313 - 329

تاريخ الإرسال: 20-5-2020 تاريخ القبول: 2020/10/25
تاريخ النشر: 2020/11/03

"التبراع" في الشّعر الشّعبي الصّحراوي الحسّاني
The "Invention" in the Hassani Sahrawi popular poetry

د. عبدالله لاطرش[1]، د. فاطنة يحياوي[2]
المركز الجامعي علي كافي تندوف (الجزائر)، [1]aboubelsam13@gmail.com
المركز الجامعي علي كافي تندوف(الجزائر)، [2]yafyaf72@yahoo.fr

الملخص:

يعد الشعر الحساني، الذي تنتجه قبائل "البيضان" بموريتانيا والصحراء الغربية وجنوب المغرب وأقصى الجنوب الغربي بالجزائر ومناطق مجاورة، شكلا تعبيريا يتضمن عدة أغراض منها (التبراع) الذي يعدّ فضاء لتصريف التعبيرات والخلجات الغزلية بالنسبة للمرأة الصحراوية.

وإذا كانت الثقافة العربية، كما تناقلتها كتب الأدب والتاريخ، تختزل غرض الغزل في الشّعر الرجالي الذي يتمحور حول عشق النساء، العذري منه وغير العذري، فإنّ الدّراسات الأدبية الخاصة بالمناطق الصّحراوية بامتدادها الجغرافي الذي ذكرنا، تتحدث عن وجود أشعار تتغزل فيها النساء بالرجال، وهو ما يطلق عليه (التبراع).

وتكمن أهمية "التبراع"، الذي يشكل دعامة أساسية في الشّعر الحساني المتوارث، في كونه يوسع من مجال غرض الغزل في الشّعر العربي، لأنه يضيف تغزل النّساء بالرجال، فضلا عن تغزّل الرّجال الشّعراء بالنّساء

الكلمات المفتاحية: الشعر الحساني، البيضان، المرأة الحسانية، التبراع، الغزل النسائي

Abstract:

Al-Hassani poetry, which is produced by the "Albaidan" tribes of Mauritania, Western Sahara, southern Morocco and the far southwest in Algeria and neighboring regions, is an expressive form that includes several purposes, including (innovation=tabraae), which is considered a space for the exchange of expressions and spinners for desert women.
And if the Arab culture, as reported in literature and history books, reduces the purpose of spinning in men's poetry centered on the love of women, both virgin and non-virgin, then literary studies on desert regions with their geographical extension, which we mentioned, talk about the existence of poems in which women spin with men, which is what It is called (innovation=tabraae).
The importance of(innovation=tabraae), which is a mainstay in inherited Hassani poetry, lies in the fact that it broadens the scope of the purpose of spinning in Arabic poetry, because it adds the spin of women to men, as well as the poetry of men poets in women

Keywords: Hassani poetry, Albaidan, Hassani woman, innovation, female spinning.

المؤلف المرسل: عبدالله لاطرش، ABOUBELSAM13@GMAIL.COM

1.مقدمة:

إن التطرق لشعر (التبراع)، ينطوي على كثير من المناطق التي تستحق الاكتشاف بالنظر لجدة الموضوع واحتوائه على أحاسيس ورؤى نجحت الشاعرات الصحراويات في تصريفها وتشكيلها والتفنّن فيها إبداعيا بلمسات وهمسات رطبة ندية في غفلة من عين الرقيب الاجتماعي.

التبراع) شعر نسائي يمكّن المرأة من التعبير بدقة وصدق عن إحساسها من خلال بيت شعري يتكون من شطرين، يرد في بيت شعري واحد، فلا توجد في التبراع قصائد إطلاقا، النسوة اللائي يكسرن رتابة حياتهن في الصحراء، ويزجين أوقاتهن

بنظم الشعر وإلقائه في تجمعات شبيهة بـ(الصالونات الثقافية) الحديثة، ينافسن في ذلك الرجل الصحراوي المعروف بتدفق قريحته الشعرية، وجزالة قوله، وفصاحة لسانه، فإذا كان هذا الصحراوي يحتاج إلى مقطوعات شعرية طويلة لإبلاغ الرسالة المرادة، فإن المرأة تكتفي ببيت واحد من شطرين موزونين على القافية نفسها، ليتجلى المعنى وتصل الرسالة. فما هو هذا اللون الشعري ؟ ولماذا يخص النساء فقط؟ كيف نشأ؟ الدّواعي والأسباب والخصوصية؟

2. التعريف والماهية:

1.2 البعد اللغوي:

جاء في لسان العرب:" بَرَعَ يَبْرُعُ بُروعاً وبَراعةً وبَرُعَ فهو بارِعٌ تَمَّ في كلّ فَضِيلة وجمال وفاق أَصحابه في العلم وغيره وقد توصف به المرأَة والبارع الذي فاق أَصحابه في السُّؤدد... البَرِيعةُ المرأَة الفائقة بالجمال والعَقل قال ويقال برَعه وفرَعه إذا علاه وفاقه وكلُّ مُشْرف بارِعٌ وفارعٌ وتبَرَّع بالعَطاء أَعطَى من غير سؤال أَو تفضَّل بما لا يجب عليه يقال فعلت ذلك مُتَبَرِّعاً أَي مُتطوّعاً وسَعْدُ البارِع نجم من المنازل وبَرْوَعُ من أَسماء النساء قال جرير ولا حَقُّ ابنَ بَرْوَعَ أَن يُهابا وبَرْوَعُ اسم امرأَة وهي بروع بنت واشق.."[1]

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "بَراعَة (مفرد): 1- مصدر برَعَ :(برَعَ في) وبرُعَ(برُعَ في). 2- فَصاحَة، سلامةُ الكلام من التَّعقيد، ملَكة الخلْق والابتكار، بَراعَة خطيب: عُرف الشَّاعر ببراعته في استعمال اللّغة". 3- مهارة، تفوُّق...[2]

2.2 البعد الاصطلاحي:

يقول أحد المختصين في الشعر الشعبي الحساني: (التبراع)؛ فن من فنون القول الشعري الحساني، كلام منظوم موضوعه التشبيب (الغزل) وهو إبداع شفوي

نسائي محض، خاصية نظمه وإبداعه تنحصر في النّساء الصحراويات فقط، تبدعه النساء البيضان خلال جلساتهن الخاصّة بعيدا عن الرجال حيث تتوفر الأجواء والظروف الملائمة لكلّ فتاة لكي تتغزّل بمحبوبها بعيدا عن رقابة المجتمع و(التبراع) ليس قصيدة، بل هو مجرّد بيت منظوم..".[3]

يقول آخر: أما مصطلح التسمية (التبراع) فالأغلب أنه جاء مشتقا من المعنى المعجمي للكلمة (تبرع) أي أعطى بلا مقابل، فالمرأة عندما تتحدث عن عاطفتها تجاه الرجل لا يهمها إن كان يبادلها ذات المشاعر أم لا، كما أنها لا تريد منه أن يكافئها بقول مماثل ، بل هي تنظم هذا اللون تعبيرا صادقا عن أحاسيسها، وتحرص على ألا يعزى إليها خوفا من الرقابة الاجتماعية والدينية[4].

3. الأصل والنشأة:

1.3 كيف نشأ؟ والدواعي: في البداية وجب أن نأخذ فكرة عامة عن الشعر الحساني، ثم نغوص في فن التبراع كجزء أصيل عن هذا الشعر، يقول الباحث والأديب، احمدو ولد اجريفين:" إن الباحث في نشأة الشعر الحساني عليه أن لا يتطلع ببساطة إلى الخروج من بحثه بتاريخ محدد لميلاد هذا الشعر حيث أنه يمثل ظاهرة إنسانية مرت بمراحل من التطور عبر العصور حتى وصلت إلى صورتها الحالية, وهكذا لم يصل الباحثون بعد إلا إلى مجرد افتراضات واستنتاجات تختلف من باحث لآخر نظرا لعوامل موضوعية من أهمها بعد هذا العامل ندرة المراجع، وإن اتفق أغلبهم على أنه نضج في أواسط القرن 12هـ على أيدي شعراء في طليعتهم:

- اعلي وأعمر أبناء مانو في الترارزة
- الكفية ولد بوسيف وسيد أحمد بن آوليل في الحوضين
- سدوم ولد انجرتو في تكانت

ويرى الدكتور محمدُ ولد أحضانا أن هذا النضح تم بعد أربع محطات بارزة هي:

المحطة الهلالية, محطة التوطن, محطة المغنين، ومحطة الأدب الشعبي.

وما أستطيع الخروج به من تتبع أهم المراجع المتاحة حول نشأة الشعر الحساني هو أن دوحته لم تنشأ ناضجة، وإنما نبتت من بذرة الأزجال الهلالية وسمدت بالموشحات الأندلسية وأصابها وابل الأوزان المحلية ثم أتت أكلها في أواسط القرن 12هـ"[5].

تعدّدت لغات الحبّ للتّعبير عن المشاعر سواء في الأدب والغناء والغزل والشّعر الذّي يعدّ من أكثر أدوات الأدب انتشاراً وبلاغاً وإسهاباً، حيث يرتبط الغزل في الشّعر العربي بالتّعبير عن حبّ الرّجل للمرأة.

وفي أوساط المجتمعات العربيّة، يُعتبر المجتمع الصحراوي في موريتانيا و الصحراء الغربية وجنوب المغرب الأقصى وأقصى الجنوب الغربي بالجزائر(تندوف وضواحيها)، من أكثر المجتمعات العربيّة والأفريقيّة محافظةً على منظومة تقاليدها وأعرافها الاجتماعيّة والثّقافيّة الصّارمة.

تتضارب الآراء والدراسات حول نشأة (التبراع)، وتعترف الباحثة الدكتورة العالية ماء العينين "بأن الكتابة عن هذا الموضوع مغامرة في ظل انعدام التواصل العربي على مستوى الثقافة الشفوية، خصوصاً في جزئها المغاربي الذي لا يزال يعاني مشكلة عدم شيوع لهجاته المحلية باعتبار أن الشعر الشفوي عموماً لا يكتمل بهاؤه إلا بالسماع[6].

يتحدث الأستاذ أحمد باب مسكه عن نشأة (التبراع)، ويذكر أنّ أول من قرض هذا اللّون جيل من الفتيات من قبيلة أهل باركلل اسمه (ازناقيات)[7]؛ الشعر الحساني يسمّى(لغن) من الغناء،" وهو شكل تعبيري يوظف في عدّة أغراض، المديح الدّيني والرّثاء، ومدح الشخصيات، الوصف، التغني بالطبيعة وغير ذلك من الموضوعات والقضايا، ويعد (التبراع) أحد أهم أغراضه الفنية، الذي يميّز هذه الثقافة

عن سواها من الثقافات بالجوار"[8]؛ شعر (التبراع) وهو كلام شعري منظوم تبدعه النساء الحسَّانيات تغزُّلاً في الرجال وبعيداً عن أعينهم.[9]

"التبراع" هو كلمة محلية عند مجتمع (البيضان)، تعني باللهجة الحسانية تغزل المرأة بالرجل، فهي تعبر عن أشواقها حينا، وتفرط في وصف مفاتن حبيبها أحايين أخرى، وهو "أدب نسائي مليء بالعاطفة والشوق، ويمكن القول بأنه دائما يكون في غرض الغزل لتكلمه عن المحبوب برقة".[10]

يحصل الاتفاق عموما، باعتباره نوعاً – شكلاً شعرياً نسائياً صحراويا (موريتانيا، الصحراء الغربية، جنوب المغرب، منطقة تندوف بالجزائر)، يخص المرأة الحسانية، دون أن يعني ذلك، عدم كتابة المرأة في الأنواع الشعرية الأخرى.

يتقاطع شعر (التبراع) كما يقول الباحث إبراهيم الحيسن؛ إلى حدّ ما مع الشعر الشفوي لنساء البشتون الأفغانيات المعروف باسم اللانداي landay ، والكلمة تعني حرفياً (الوجيز) و (المقتضب)، وهو نص شعري مكثّف وقصير جداً، يجد هويته الجمالية في الإيجاز والاقتضاب".[11]

من خلال التمعن في الدّلالة اللغوية للكلمة والاصطلاح الاستعمالي في ضبط المدلول المناسب، نكتشف عمق الكلمة في تحديدها للأمر المقصود، فهوفن شعري تبرع فيه المرأة الصحراوية، كما أنّه عبارة عن أدب أحادي الغرض: النسيب، وأحادي القائل: المرأة؛ وأهم ما يميز (التبراع) هو أسلوبه الأدبي الراقي في التعبير عن المشاعر بدون تصريح أو خدش لخلق الحياء أو الحشمة.

إذن،(التبراع) بهذه الرؤية وهذا المسلك، نجده يوضح قدرة المرأة الحسانية على الإبداع من جهة، ومن جهة ثانية يبين تمكنها من اللغة وبراعتها في توظيف المحسّنات البلاغية والاقتباسات القرآنية والأدبية وتوظيف الأحداث والشخصيات التاريخية، والاستعانة بلغات ولهجات أخرى غير الحسانية، إنه تعبير عن رقة المرأة

الصحراوية وقدرتها على إبداع شكل شعري بسيط وقصير، لكنه أكثر الطرق اختصارا لإيصال المعنى، وهو ما أضفى عليه طابع التميز والخصوصية.

في كتابه (مجتمع البيضان) النسق الثقافي ونمط العيش"، تحدث الباحث إبراهيم الحيسن عن التبراع، وقال إنه "في عمق الأدب الحساني، يبرز ما يسمى التبراع وهو كلام شعري منظوم تبدعه النساء الحسانيات تغزلاً في الرجال، وذلك في أجواء تطبعها السرية والكتمان والحرص الشديد على عدم التداول والانتشار نتيجة للحشمة والوقار والرقابة التي تمارسها الطقوس و(الطابوهات) البدوية في الصحراء..[12] وأضاف أن "انتشار تداول (التبراع) في الصحراء، راجع بالأساس لرقابة المجتمع وسلطة (الطابوهات) والمحظورات الكثيرة التي جعلت منه كياناً وعالماً داخلياً يملأ انشغال النساء الصحراويات بالحب والتعبير عن العواطف والأحاسيس تجاه الرجال أثناء جلسات المسامرة والمؤانسة، أو تحت ضوء القمر المتلألئ، أو بين كثبان الصحراء".[13]

تقول الكاتبة والمترجمة الموريتانية عائشة أحمدو:" لم تختر المرأة(التبراع) لنفسها بل اختاره المجتمع لها فهو الوسيلة الوحيدة التي لديها للتعبير عن مشاعرها، فالضغوط والأخلاق التي تأسست على الحياء والسر جعلت منه أفضل وسيلة للبوح بالعواطف"[14]؛ الإعلامية والفاعلة الجمعوية المهتمة بالأدب الحساني الصغرى الكنتاوي إن "(التبراع) شعر نسائي يمكن المرأة من التعبير بدقة وصدق عن إحساسها من خلال بيت شعري يتكون من شطرين"، مضيفة أنه "في بدايته كان محتشما داخل مجتمع البيضان، لأنّه كان يهتم بالبوح العاطفي، كما أنّ المرأة لم تكن قادرة على نسبه إليها"، وزادت: "بحكم الوعي والتنوع الثقافي، وتبادل الخبرات، أصبح التبراع يتناول جميع المواضيع، مثل التوحيد والرجاء والمدح، إضافة إلى مساجلات

بين النساء والرجال في أمور علمية أو فكرية أو غزلية، بطريقة محترمة لا تخدش الحياء. كما أصبحت المرأة أكثر شجاعة في البوح بما يخالجها من مشاعر".[15]

وأوضحت الصغرى أن "عشق الرجال بالنسبة للشاعرات الصحراويات حاضر في "تبريعاتهن"، لكن عشق الأهل والأوطان وأشياء أخرى حاضر كذلك، وهو ما يجعل هذا الغرض الشعري أوسع مما نتصور وقابلا للتحليل والنقاش، لكونه خزانا لتصورات رؤيويه جديدة ومتشعبة"، وفق تعبيرها.[16]

يرجع بعض الباحثين تفجر شاعرية المرأة الصحراوية بالعموم إلى القيود الاجتماعية التي كانت مفروضة عليها، فالمجتمع يضع عراقيل كبيرة أمام المرأة الراغبة في لقاء حبيبها، حيث تقل فرص اللقاء ووسائل التواصل، وفي هذا نورد المثال الآتي:

"ما نكدر نصبر ... أشهر شهرين اثلت اشهر" وهنا تقصد الشاعرة أنها لا يمكن أن تصبر على فراق حبيبها شهرا آخر لاسيما إذا زادت مدة الفراق عن ثلاثة أشهر.

لا تذكر المرأة حبيبها بالاسم في (التبراع)، وتكتفي فقط بالتلميح، كما ينطبق الشيء ذاته على الحبيبة تبقى مجهولة دائما؛ في حين تتكلف إحدى صديقاتها بنقل ما جادت به قريحتها إلى مجلس النسائي، أو ترسل (التبراع) إلى عشيقها.[17]

وإذا اضطرت المرأة للتعبير عن حالات نفسية ذات صبغة حميمية ، فهي تتخذ السرية والحديث وراء الستار وسيلة للترويح عن آهاتها الغرامية وهنا تلجأ (للتبراع).

وتقول إحداهن:

نبغيك أنا حتا، اسوى الكالوا وال كلت انت

(أنا أحبك كثيرا، مهما قالوا ومهما قلت أنت).

مثال آخر؛ تقول إحداهن:

باطن ذي الزيره * كط ابياظتل لمريره

هنا يظهر كم تجشمت شاعرتنا من عناء لتقول هذه "التبريعة" التي اختزلت فيها كل رسائل الحب لذلك المكان_" باطن ذي الزيره" _ المكان الذي جمعها مع الحبيب أياما لا تنسى حيث تركت على أرصفة الطريق إليه أجمل ذكرياتها.[18]

وتثور أخرى في وجه ذلك الصمت المطبق الذي فرضه عليها مجتمعها لتقول:

فات بعد أيام == يا سعد الجاهم من قدام

وكأنها تسترجع ذاكرتها لتفرض عليها التوقف عند لحظة زمنية معينة هي لحظة الانصياع لسلطان الحب(فات بعد أيام)، تلك الأيام التي لم تفارق بال عاشقتنا المهووسة بماضيها.[19]

تقول إحداهن معبِّرة عن افتتانها بجمال ابتسامة عشيقها ومحبوبها وتعتبرها آسرةً وغاية في الإغراء، وأنّ إبليس بنى خيمته في هذه الابتسامة واستقر بها:

عَنْدُ تَبْسِيمَ بَانِي فِيهَ ابْلِيسْ خْوَيْمَ.

أخرى في تودد وحميمية، تقول:

بلغو لو السلام، كولوا لو علن لهجار احرام (بلغوا له سلامي وأخبروه أن الخصام حرام).

وهذه أخرى انشغلت بغياب عشيقها الذي اعتادت على رؤيته بشكل يومي، فراحت تنشد:

البَارَحْ مَ جَانَ وَاللَّيْلَ فِيهَ مُولاَنَ.

بخلاف أخرى سعدت كثيراً بعودة حبيبها لها:

وَمْجِيهْ لْبَارَحْ فَرْحُ بِيهْ اسْبَعْ اجْوَارَحْ.[20]

تقصد المرأة الموريتانية والصحراوية عموما في الغالب إلى تعمية اسم الحبيب المغزل عليه، فتتحاشى ذكر اسمه، واسم عائلته، وتبحث له عن تسمية تشتقها من خيالها، أو تستمدها من الصفات المشتركة بين الناس، وأحيانا تتخذ له اسم علم تراثي معروف، وأحيانا تتبنى اسم طفل لم يبلغ الحلم، أو خادم منزل لتتخذ منه مطية لبلوغ هدفها.

ومن وجهة نظرنا فإنّ هذا الحرص على إخفاء الاسم الحقيقي للرجل يرجع إلى أسباب اجتماعية ونفسية وثقافية؛ منها:

1- الحياء الذي يسم المرأة في مجتمع إسلامي بدوي محافظ

2-كبرياء المرأة التي تجعلها تضن على الرجل بإبداء مشاعرها نحوه.

3-الخوف من أن لا يبادلها نفس المشاعر.

4- مراعاة وضع الرجل؛ الذي قد يكون مرتبطا.

5- سلطة الرقيب الاجتماعي، التي لا تسمح للمرأة بالتعبير عن مشاعرها.

6- الخوف من التشهير، وما يستدعي الإفصاح عن الاسم من تطرق لألسنة الناس

فهذه العوامل مجتمعة، "جعلت المرأة تجانب التصريح باسم من تحب، وتعمد إلى التلميح مستعيضة عن التسمية بصفات، وأسماء عامة مبهمة كمفردات: (الْمَجْحُودْ- الْمِكْمِي- حَدْ- بَيَّاتْ- أَسْمَرْ- زُهَيْرْ- نِزَارْ- سُهَيْلْ- مُرَادْ-نَبِيهْ)

إنّ هذه الأسماء هي إما صفات جنس، أو أسماء مبهمة، أو أسماء لشعراء معروفين، أو أسماء عربية غير متداولة محليا، مثال:

-كَاتِلْني بِالتَّلْيَاعْ == أَمْنَادِمْ مَا يَعْرَفْنِي كَاعْ: (يقتلني حبا من يجهلني حقا)

-يَعْرَفْ نَبِيهْ == عَنْ هُنَاتِ وَحْدَه تِبْغِيهْ:(نبيه يعلم علم اليقين أن هناك من تحبه)

–اضحك هَكْ أَسْمَرْ == وَاللَّهْ أَلَّ نِعْمَ الْمَنْظَرْ:(يضحك أسمر هناك، فياله من منظر)

–يَلاَّلِي أَلَّ نِزَارْ == قَبَّانِي دَاخِلْ بَابْ الدَّارْ:(ياالله! هاهو نزار قباني يدخل باب الدّار)".[21]

يشتهر بين النساء العاشقات في "التبراع" تبريعة يردّدنها في كلّ مجلس من مجالسهن، فتقول الولهانة:

أُ لا يَكْدَرْ يَنْعافْ

لَخْظارْ فْعيمانْ الجفافْ

ومعنى البيت بالمعنى الفصيح – حسب ماء العينين – أنه "لا يمكن أن نكره منظر الخضرة عموماً.. فما بالك بأيام الجفاف.. وإلى هنا تبدو التبريعة مجرد صورة طبيعية ساذجة، ولكن إذا علمنا أن "لَخْظارْ" في اللهجة الحسانية هو السمرة أي اللون الأسمر فإن المعنى الخفي يصبح غزلاً في حبيب أسمر وكيف السبيل إلى عدم حبه.. وهو الخصوبة في عز الجفاف".[22]

وما يعززه فنّا محبّبا وسببا للبوح، كون قائلته (التبراع) تبقي دائماً مجهولة، بحيث ينتشر بسرعه وتتناقله الالسن ولكن من دون معرفه مبتدعته، "وهذا ما يعزز مساحه الحرية التي تتباري فيها الفتيات...مثلا تقول إحدى الفتيات وقد شاهدت من تحبه وفي فمه مَسْواكًا او سِواكا علي عاده اهل الصحراء، فالتفتت الي صديقاتها قائله:

لُو كَنْتَ لْ هُوَ ما نَحْرَكَ لُو جاتْ القُوَّه

والمعنى: لو كنت أنا، هو(أي المسواك) لما تحركت (من فمه) حتي ولو بقوه الجيش".[23]

ويبقي الطابع الرومانسي هو الغالب اكثر علي هذا الشعر ويتوزع بين الشكوى واللوعة والسهر وهجران الحبيب والنسيان.

كَيْفَ انْساهُ ذلٌّ في الجَفْنِ سُكْناهُ

كيف استطيع نسيان من يسكن اجفان عينيّ...

عَنْدُو تَبْسِيمَه تُحْيي لْعِظَامْ الرَّميمَه

تقول المتبرعه ان ابتسامة حبيبها تحيي العظام وهي رميم...

والمعجم الديني حاضر بقوه في التبراع ولكن دائماً لخدمه الغرض الرئيسي: الغزل، ومن ذلك قول احداهن:

حُبِّي ذَا اطَّارِي ثَابَتْ رَواهْ البُخَاري، (أي: هذا الحب الذي أحياه ثابت صحيح كما هو الحديث الصحيح في البخاري).

الاستعانة بقوة وبيان وحقيقة ما يُروى عن البخاري للتدليل على مدى صحة وقوة حبها الجديد.[24]

كما نجد المرأة تلجأ أحيانا إلى الضمائر، أو أسماء الإشارة، وغيرها من المبهمات تحاشيا لذكر الاسم الحقيقي للرجل إحداهن، مثال:

-مَنْدَرْتِي هُوَّ ذَاكْ == كَانُو يَعْرَفْ عَنِّي نَلْكَاكْ: (ترى هل يعرف ذلك الشخص أنني ألتقيك).

-اسم الإشارة == كَاعْ أَصْلًا فِيهْ ابْلَا مَارَه: (إن إسم الإشارة في الأصل لا علامة له).[25]

2.3 شكل "التبريعة" والخصائص:

التبريعة نص منظوم مقتضب ومكثف وقصير، لذلك فهو فن أدبي صعب لأنّ قوامه بيت شعري واحد فقط من شطرين لا غير مع ضرورة استيفاء المعنى فيهما فلا توجد قصائد تبراع في الثقافة الحسانية، بل توجد تبريعات أو أبيات التبراع،

ويمتاز البيت الشعري بالوضوح والبساطة التي لا تخلو من صور بلاغية جميلة، فخصائصه الايقاعية والعروضية والبلاغية وقلة كلماته تجعله سهل الحفظ والاسترجاع ينساب منتشرا في الجسم الاجتماعي، ويجب أن تكون التبريعة واضحة المعنى ومباشرة في التعبير عن العاطفة".[26]

وعادة ما تكون التبريعة الافتتاحية، بذكر الله على عادة الطرب أو الغناء الحساني عموما، فيقال:

لايْلاهَ إلَّ اللّـه === يا خُوتّي أُ لايْلاهَ إلَّ الله

وبعدها:

لايْلاهَ إلَّ اللّـه === مَغْلَ عْلِيَّ رسول الله

مَغْلَ عْلي : ما أغلى عندي ، والمعنى طبعا في حب ومكانة رسول الله (ص) عند المتبرعة[27].

بعد هذه المقدمات يبدأ الدخول في صلب موضوع التبراع والذي هو التغزل والنسيب:

تقول إحدى العاشقات وهي تشعر ببداية أعراض حب جديد يطرق بابها:

وَانا فُـؤَادي == طارِي لُو شِي مَاهُو عَادي

طاري لو: طرأ عليه.

ومعنى التبريعة: أنّ الفتاة تشعر أن فؤادها على غير عادته فماذا طرأ عليه يا ترى؟.[28]

والخصائص كالآتي:

أ-**شعر نسائي:** فهو شعر منظوم تبدعه النساء الحسانيات تغزلا في الرجال في مجلس نسائي خالص، يتم إنشاد التبريعات خلال المسامرة فيطلق العنان للعواطف والمشاعر تجاه من يحببن ويعشقن.

تقول إحداهن:

كْلامَكْ ذَّ السَّكْرانْ == نْصُومْ عْليهْ اعْشَرْ عِمانْ

أصوم عشر سنوات مقابل كلامك الذي يشبه حديث السكارى

ب-الطرفان مجهولان: القائل والمتغزّل به مجهول، فالتبريعات المتداولة لا تحمل أسماء الناظمات ولا يمكن معرفتهن، كذلك الرجال المتغزل بهم يظلون مجهولين، تكتفي الناظمة بالتلميح، تقول إحداهن مثلا:

اناَ وَدَّلاَلْ == نْسَيْنَ لَعْمامْ أُلَخْوالْ

تقول بانها وحبيبها قررا تجاهل الاهل. الذين يبدو ان هذه العلاقة لا ترضيهم. وفي استعمال الشاعرة لرابطة العمومة والخؤولة، تأكيد على أهمية الروابط العائلية الكبرى في تقرير مصير حياتها. وهي إحالة على بعض العادات المنظمة للحياة الاجتماعية داخل القبائل الحسانية.

وفي خطاب أكثر وضوحا، تقول الشاعرة:

وَانَ مْنَيْنْ بْغَيْت**بَرَّانِ گَالُ نِّ نْجَنِّيتْ

(عندما أحببت من خارج القبيلة، اتهموني بالجنون).[29]

ج-الإنطلاق والبوح: حيث أن هذا الفضاء هو المتاح لها لتعيش بعضا من الحرية فتنفس وتعبر و تنطلق في الآفاق ولو افتراضيا، فنجد الشاعرة تقول:

نَبْغِ لَمْغَلِّ== خَاطَبْ مَتْعَرَّسْ وَمْخَلِّ.

معلنة عن حبها لرجل، ولا يهمها إن كان متزوجا أو خاطبا أو مطلقا.

وتقول أخرى:

نَبْغوهْ اَسْوَ شَدْ**وَحْدَ عَشْرَ أَلْفْ إلَ گَدْ

أي: أحبّه حتى لو كان متزوجا بواحدة، أو عشرة أو ألف، إذا استطاع.

العاشقة مستعدة لتجاوز كل القيم الاجتماعية بل وحتى الدينية (أكثر من أربعة)، لتكون مع حبيبها[30].

د-الرواية الشفوية والحضن الاجتماعي: تنتشر التبريعة في الجسد الاجتماعي عن طريق الرواية مشافهة ، ما يجعل الأمر مفتوحا ومطلوبا مرغوبا كمعطى اجتماعي محمي ومحتضن.

هـ-مرتبط بالموسيقى: لأنّ عموما لغن الحساني هو شديد الارتباط بالموسيقى ينشد ويؤدى بحضور آلات الإيقاع المعروفة و المعتمدة بالمجتمع الصحراوي.

4.خاتمة:

في ختام هذا المقال، نخلص إلى ذكر النتائج الآتية:

*- التبراع نوع من أنواع الشّعر الشعبي الحساني، وهو أحد أهم أغراضه الفنية يحمل صورة الثقافة الاجتماعية للمجتمع الحساني.

*- التبراع كلام منظوم موضوعه التشبيب وتغزل المرأة بالرجل، ينحصر في وسط النساء الصحراويات يتعاطينه في جلسات سمرهن.

*- هو الوسيلة الوحيدة التي لدى الفتاة الصحراوية للتعبير عن مشاعرها، فالضغوط، والأخلاق التي تأسست على الحياء والسر جعلت منه أفضل وسيلة للبوح بالعواطف

*- انتشار تداول (التبراع) في الصحراء، راجع بالأساس لرقابة المجتمع وسلطة (الطابوهات) والمحظورات الكثيرة التي جعلت منه كياناً وعالماً داخلياً يملأ انشغال النساء الصحراويات بالحب والتعبير عن العواطف والأحاسيس تجاه الرجال أثناء جلسات المسامرة والمؤانسة، أو تحت ضوء القمر المتلألئ.

الهوامش:

[1]أنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ب-ر-ع)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت ج2.

[2]أنظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (ب-ر-ع)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008

[3]الزبير مهداد، "التبراع" عندما تتغزّل المرأة بمحبوبها، مجلة تراث، ع:203،سبتمبر 2016،https://torath.gov.ae، ص:115

[4]باتة بنت البراء، المرأة الموريتانية والمنجز الأدبي، https://www.facebook.com/407058776021824/posts/634385603289/139، 21ديسمبر 2013

[5]احمدو ولد اجريفين، الشعر الحساني:البنية الإيقاعية والأبعاد البلاغية، أخبار الساحل، 2016-8-24،http://sahelnews.info/node/2254

[6]فاطمة عاشور، التبراع شعر غزل من النساء الحسانيات بالرجال، موقع الأنطولوجيا، http://alantologia.com/page/10099/ 8-8-2015

[7]باتة بنت البراء، المرجع نفسه

[8]الزبير مهداد، المرجع نفسه، ص:114

[9]خديجة الفتحي، "التبراع" غزل نسائي بالرجل.. يخرج من السر إلى العلن، موقع العربية نت، https://www.alarabiya.net 29-4-2014

[10]موقع الموزون، التبراع إعانڈ لغن...، http://elmewzoun.com، 06-11-2014

[11]فاطمة عاشور، المرجع نفسه.

[12]أحمد ولد جدو، "تبراع" نساء موريتانيا العذب، https://raseef22.com، 25-05-2018

[13]المرجع نفسه

[14]المرجع نفسه

[15]فريد لمريني، "التبراع في الشعر الحساني"، https://www.hespress.com، 15-12-2017

[16]المرجع نفسه

[17]سكاي نيوز عربية، التبراع.. عندما تتغزل المرأة بالرجل في موريتانيا، 13-03-2018، https://www.skynewsarabia.com

[18]مناتة بنت محمد حيدرة، "التبراع " في الشعر الحساني..إبداع المرأة ووسيلتها للبوح، بوابة عرار الإخبارية، http://www.sha3erjordan.net

[19]مناتة بنت محمد حيدرة، المرجع نفسه

[20]خديجة الفتحي، المرجع نفسه

[21]باتة بنت البراء، المرجع نفسه

[22]جديجة الفتحي، المرجع نفسه

[23]المشاهد، التبراع شعر غزل من النساء الحسانيات بالرجال، machahid24.com 10-2010-04

[24]فاطمة عاشور، المرجع نفسه

[25]باتة بنت البراء، المرجع نفسه

[26]الزبير مهداد، المرجع نفسه، ص:115-116

[27]محمد ولد أكاه، جمالية الشعر الصحراوي وتفرده في نمط الغزل العفيف للمرأة أو "التَّبَرأُعْ" النسائي،https://kawalissahraouiya.com /

[28]المرجع نفسه

[29]العالية ماء العينين، خطاب الرفض في شعر المرأة الحسانية(التبراع)، موقع المصدر، 2019-11-09، https://almasdare.com/

[30]العالية ماء العينين : المرجع نفسه